

تفسير البغوي

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي
نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ^ط فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا
زَوْجَهَا لَكِيَ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ^ج
وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا

قوله تعالى : (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ) الآية ،
نزلت في زينب وذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما زوج زينب من زيد
مكثت عنده حيناً ، ثم إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتى زيدا ذات يوم لحاجة ،
فأبصر زينب قائمة في درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من أتم نساء قريش ،
فوقعت في نفسه وأعجبه حسنهما ، فقال : سبحان الله مقلب القلوب وانصرف ، فلما جاء
زيد ذكرت ذلك له ، ففطن زيد ، فألقى في نفس زيد كراهيتها في الوقت فأتى رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : " إني أريد أن أفارق صاحبتي " ، قال : ما لك أرابك
منها شيء ؟ قال : لا والله يا رسول الله ما رأيت منها إلا خيراً ، ولكنها تتعظم علي

لشرفها وتؤذيني بلسانها ، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : " أمسك عليك زوجك " ،
يعني : زينب بنت جحش () واتق الله () في أمرها ، ثم طلقها زيد فذلك قوله - عز وجل - : (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه) بالإسلام () وأنعمت عليه) بالإعتاق ، وهو زيد بن حارثة (أمسك عليك زوجك واتق الله) فيها ولا تفارقها (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) أي : تسر في نفسك ما الله مظهره ، أي : كان في قلبه لو فارقها لتزوجها .
وقال ابن عباس : حبها . وقال قتادة : ود أنه طلقها . (وتخشى الناس) قال ابن عباس والحسن : تستحييهم . وقيل : تخاف لائمة الناس أن يقولوا : أمر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها . (والله أحق أن تخشاه) قال عمر ، وابن مسعود ، وعائشة : ما نزلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آية هي أشد عليه من هذه الآية . وروي عن مسروق قال : قالت عائشة : لو كتم النبي - صلى الله عليه وسلم - شيئا مما أوحى إليه لكتم هذه الآية : " وتخفي في نفسك ما الله مبديه " . وروى سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال : سألتني علي بن الحسين زين العابدين ما يقول الحسن في قوله : (وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) ؟ قلت : يقول لما جاء زيد إلى النبي -

صلى الله عليه وسلم - فقال : يا نبي الله إني أريد أن أطلق زينب فأعجبه ذلك ، فقال :
أمسك عليك زوجك واتق الله ، فقال علي بن الحسين : ليس كذلك ، كان الله تعالى
قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه وأن زيدا سيطلقها ، فلما جاء زيد وقال : إني أريد أن
أطلقها قال له : أمسك عليك زوجك ، فعاتبه الله وقال : لم قلت : أمسك عليك زوجك ،
وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك ؟ وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء وهو مطابق
للتلاوة لأن الله علم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال : "
زوجناكها " فلو كان الذي أضمره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - محبتها أو إرادة
طلاقها لكان يظهر ذلك لأنه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره ، فدل على
أنه إنما عوتب على إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجة له ، وإنما أخفاه استحياء أن
يقول لزيد : التي تحتك وفي نكاحك ستكون امرأتي ، وهذا قول حسن مرض ، وإن كان
القول الآخر وهو أنه أخفى محبتها أو نكاحها لو طلقها لا يقدر في حال الأنبياء ، لأن
العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه في مثل هذه الأشياء ما لم يقصد فيه المآثم ، لأن الود
وميل النفس من طبع البشر . وقوله : " أمسك عليك زوجك واتق الله " أمر بالمعروف ،

وهو خشية لا إثم فيه .وقوله تعالى : (والله أحق أن تخشاه) لم يرد به أنه لم يكن يخشى الله فيما سبق فإنه عليه السلام قد قال : " أنا أخشاكم الله وأتقاكم له " ، ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر أن الله تعالى أحق بالخشية في عموم الأحوال وفي جميع الأشياء .قوله - عز وجل - : (فلما قضى زيد منها وطرا) أي : حاجة من نكاحها (زوجها) .وذكر قضاء الوطر ليعلم أن زوجة المتبنى تحل بعد الدخول بها .قال أنس : كانت زينب تفتخر على أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - فتقول : زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات .وقال الشعبي : كانت زينب تقول للنبي - صلى الله عليه وسلم - : إني لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن : جدي وجدك واحد ، أني أنكحنيك الله في السماء ، وإن السفير لجبريل عليه السلام .أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر ، أخبرنا عبد الغفار بن محمد ، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي ، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ، أخبرنا مسلم بن الحجاج ، حدثني محمد بن حاتم بن ميمون ، أخبرنا بهز ، أخبرنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لزيد : " فاذكرها علي " ، قال : فانطلق زيد حتى أتاها وهي

تخمر عجينها ، قال فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها لأن رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - ذكرها ، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي ، فقلت : يا

زينب أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يذكرك . قالت : ما أنا بصانعة شيئا حتى

أؤامر ربي ، فقامت إلى مسجدها ، ونزل القرآن ، وجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم

- فدخل عليها بغير إذن . قال : ولقد رأيتنا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أطعمنا

الخبز واللحم ، حتى امتد النهار ، [فخرج الناس] وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد

الطعام ، فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاتبعته فجعل يتبع حجر نسائه يسلم

عليهن ، ويقولن : يا رسول الله كيف وجدت أهلك ؟ قال : فما أدري أنا أخبرته أن القوم

قد خرجوا أو أخبرني . قال : فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى الستريني

وبينه ، ونزل الحجاب . أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ،

أخبرنا محمد يوسف ، أخبرنا محمد بن إسماعيل ، أخبرنا سليمان بن حرب ، أخبرنا

حماد عن ثابت ، عن أنس قال : ما أولم النبي - صلى الله عليه وسلم - على شيء من

نسائه ما أولم على زينب ، أولم بشاة . أخبرنا محمد بن عبد الله الصالح ، أخبرنا أبو

سعيد محمد بن موسى الصيرفي ، أخبرنا أبو العباس الأصم ، أخبرنا محمد بن هشام بن
ملاس النمري ، أخبرنا مروان الفزاري ، أخبرنا حميد عن أنس قال : أولم رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - حين ابنتى بزيب بنت جحش فأشبع المسلمين خبزا ولحما . قوله -
عز وجل - : (لكي لا يكون على المؤمنين حرج) إثم (في أزواج أدعيائهم إذا قضا
منهن وطرا) و " الأدعياء " : جمع الدعي ، وهو المتبني ، يقول : زوجناك زيب ، وهي
امراة زيد الذي تبنيته ، ليعلم أن زوجة المتبني حلال للمتبني ، [وإن كان قد دخل بها
المتبني] بخلاف امرأة ابن الصلب فإنها لا تحل للأب . (وكان أمر الله مفعولا) أي :
كان قضاء الله ماضيا وحكمه نافذا وقد قضى في زيب أن يتزوجها رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - .